

# مدخل إلى النظريات الحديثة في التنمية

## Introduction to Modern Theories of Development

أ. عبد اللطيف طالبي

أ. إشراق الرّيحاني

أ. عبد الإله فرح

جامعة ابن طفيل القنيطرة  
المغرب

[abdellatiftalbi00@gmail.com](mailto:abdellatiftalbi00@gmail.com)

[raihani.ichrak@gmail.com](mailto:raihani.ichrak@gmail.com)

[abdelilah.farah89@gmail.com](mailto:abdelilah.farah89@gmail.com)



## مدخل إلى النظريات الحديثة في التنمية

أ. عبد الإله فرح - أ. إشراق الریحاني - أ. عبد اللطيف طالبی

### ملخص:

تتناول المقالة موضوع سوسولوجيا التنمية باعتبارها فرعاً من علم الاجتماع يهتم بدراسة التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات. وتناقش هذه المقالة أهم النظريات السوسولوجية التي تناولت موضوع التنمية، وتؤكد على أن التنمية عملية معقدة تؤثر عليها مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

الكلمات المفتاح: السوسولوجيا، التنمية، النظرية الاجتماعية، العولمة.

### Abstract:

The article explores the field of development sociology, which focuses on examining the economic progress within societies. It delves into theories that have tackled the subject of development highlighting its intricate nature shaped by diverse factors such, as social, economic, political and cultural influences.

**Keywords:** sociology, development, social theory, globalization.

## 1- تقديم:

تندرج السوسيولوجيا ضمن التخصصات العلمية الهامة التي تتناول إشكالية التنمية بمختلف جوانبها، إذ تمكّنا من الاطلاع على رؤى مفيدة حول العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تلعب دوراً في عمليات التنمية. وقد ظهرت فكرة الضبط العلمي أو التوجيه العلمي للمجتمعات منذ البدايات عند رواد السوسيولوجيا الأوائل. ومن هنا، اعتبر أوكست كونت (Auguste Comte) أنّ السوسيولوجيا ملكة العلوم لأنها تكشف الحقيقة عن كيفية تنظيم المجتمع، حيث يكون مستقرّاً ومنسجماً، بعيداً عن الصراعات والاضطرابات، التي كانت سائدة في ذلك العصر، ولا تزال مستمرة حتى اليوم<sup>1</sup>. إلى جانب أهمية التاريخ في فهم تطوّر المجتمعات، وهو الدرس الذي نتعلّمه من ماكس فيبر (Max Weber)، حينما اعتبر أنّ تفسير الحقائق الاجتماعية يتطلب سرداً تاريخياً لكيفية نشوء الوقائع الاجتماعية؛ فالتحليل المقارن لا غنى عنه لدراسة التحوّلات الاجتماعية التي تشهدها المجتمعات الإنسانية.

يمكن القول إنّ السوسيولوجيا أثارت حماسة كبيرة منذ القرن التاسع عشر، لأنها كانت تسعى إلى اقتراح حلول علمية للمشكلات الاجتماعية. فقد كان علماء الاجتماع مثل فريدريك لو بلاير (Frederic Le Play's) يركّزون بشكل أساسي على حلّ المشاكل الاجتماعية، ويعملون خارج إطار الجامعة، ويقدمون توصياتهم للحاكمين والمسؤولين. وبعد أن انضمت السوسيولوجيا إلى النظام الجامعي الفرنسي، وانتشرت في معظم الدول، أصبحت السوسيولوجيا أكثر تنوعاً بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت منها تخصصات فرعية جديدة مثل سوسيولوجيا التنمية. وقد اكتسبت أهمية بالغة منذ الستينيات من القرن الماضي، وجمعت الباحثين المهتمين بالتغيير الاجتماعي في البلدان النامية أو ما كان يسمى آنذاك بمجتمعات العالم الثالث، وهو المصطلح الذي كان يطلق على جنوب الكرة الأرضية. وفي ذلك الوقت، أنشأت جمعيات السوسيولوجيا أقساماً أو لجاناً بحثية في سوسيولوجيا التنمية، حيث أصبحت منذ ذلك الحين جزءاً لا يتجزأ من السوسيولوجيا<sup>2</sup>.

تقدّم السوسيولوجيا مجموعة من النظريات الاجتماعية حول التنمية، إذ تساعد على شرح كيفية تقدّم المجتمعات وتطوّرها، وكيف تختبر التغيرات التي تمسّ الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للأفراد والجماعات، وكيف تتعامل مع قضايا اجتماعية واقتصادية مثل عدم المساواة والفقر والتخلف. ومن بين النظريات الاجتماعية البارزة في سوسيولوجيا التنمية نجد:

1- توني بارنت، (1992)؛ علم الاجتماع والتنمية، ترجمة سهير عبد العزيز محمّد يوسف، ط1، القاهرة، مصر، دار المعارف، ص16.

2- Dieter Neubert. (2020); « Sociology of development: sociology, development studies or already dead?». In: Southeast Asian Transformations: Urban and Rural Developments in the 21st Century, By Sandra Kurfürst, Stefanie Wehner (eds.), y transcript Verlag, Bielefeld, P.26.

## 2- الاتجاه التطوري المحدث:

تتبع نظرية التطور المحدث إلى النظريات الأساسية في سوسيولوجيا التنمية، إذ تفترض أن المجتمعات تمر بمراحل متعددة في عملية التطور والتغيير. ومن أبرز مؤسسيها والت روستو (Walt Rostow) الذي بين أن هناك مجموعة من المراحل الضرورية التي يجب أن يخوضها أي مجتمع ليصل إلى مرحلة متقدمة من النمو الاجتماعي والاقتصادي. وهي كالتالي<sup>1</sup>:

- أ- مرحلة المجتمع التقليدي.
- ب- مرحلة زمنية طويلة تتبلور خلالها المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية السابقة للتنمية.
- ج- مرحلة الانطلاق التنموي وهي قصيرة.
- د- مرحلة تسارع الحوافز للنضوج التنموي.
- هـ- مرحلة الاستهلاك الوفير والعالي.

وفي هذا السياق، تتميز المرحلة الأخيرة بأنها المرحلة التي تتوقر فيها للمجتمعات مصادر الطاقة والتكنولوجيات الحديثة، والتي تركز على الصناعة والتجارة. فاققتصاد هذه المجتمعات يستند إلى الصناعات والتكنولوجيات الثقيلة. وتؤدي مؤسساتها دورًا رئيسيًا في تنظيم السوق وتطويره وإدارة العلاقات الإنتاجية والاجتماعية. ويرى مؤيدو هذه النظرية أن هذه المراحل تقود إلى التطور الاقتصادي والاجتماعي وتحسين جودة الحياة للسكان، وأنه يمكن للمجتمعات التامة أن نهل من خبرة المجتمعات المتقدمة، والتنبؤ بمستقبل الدول المختلفة وفقا لهذه المراحل. حيث تميل هذه النظرية إلى مفهوم المحاكاة والتقليد للمجتمعات الغربية<sup>2</sup>. في حين أن هذه النظرية تتجاهل عدة عوامل مثل التاريخ والسياسة والاقتصاد والثقافة والاستعمار التي تؤثر في تطور المجتمعات.

## 3- النظرية الانتشارية:

تعتبر النظرية الانتشارية من أبرز النظريات في سوسيولوجيا التنمية، وهي نظرية تركز على عملية الانتشار، حيث يمكننا أن نعرف الانتشار "بأنه العملية التي تنتقل من خلالها سمة أو نمط ثقافي من فرد أو جماعة أو مجتمع إلى آخر"<sup>3</sup>. وهي نظرية تعتبر أن تحقيق التنمية، تتطلب انتشار وانتقال القيم المادية والثقافية من المجتمعات المتقدمة إلى المجتمعات المتخلفة. فهي نظرية تركز على العلاقات بين الدول والمجتمعات المتقدمة والمتخلفة. ومن رواد هذا الاتجاه نجد ايفرت روجرز (Everett Rogers) وجورج هومان (George Homans).

1- نائل عبد الحافظ العواملة. (2010)؛ إدارة التنمية: الأسس النظرية، الأسس النظرية. التطبيقات العملية، ط 1، عمان: دار زهران، ص41.

2- المرجع نفسه، ص42.

3- نبيل محمد توفيق السمالوطي. (1989)؛ قضايا التنمية والتحديث في علم الاجتماع: دراسة نقدية لأزمة علم اجتماع التنمية، ط2، دار المطبوعات الجديدة، ص145.

وتركز هذه النظرية على فكرة أن تأثير المجتمعات المتقدمة على المجتمعات المتخلفة، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى اقتراب هذه المجتمعات من نموذج المجتمع الغربي المتقدم. وذلك عن طريق نقل التكنولوجيا والممارسات والمعرفة والخبرات التي تميز المجتمعات المتقدمة إلى المجتمعات المتخلفة حتى تستفيد منها. وذلك لأنه "لا يوجد مجتمع تقوم ثقافته كلها على أساس الاختراع وحده، فقد أكد لنتون أن ما هو مخترع داخل أمريكا من الثقافة الكلية السائدة داخلها لا يتجاوز 10%".<sup>1</sup> علاوة على ذلك، يرى رؤاد هذا الاتجاه أن المشكلة التي تعاني منها المجتمعات المتخلفة في تحقيق التنمية هي ما يرتبط بعملية الإنتاج، إذ تعاني المجتمعات المتخلفة من عدم قدرتها على إنتاج السلع وتطويرها وتسويقها. إلى جانب أنهم يحاولون إبراز المعوقات التي تضعف المجتمعات النامية على تمثّل التجديدات الوافدة من الغرب، حيث غالبا ما تأخذ هذه المعوقات، إما شكلا بنائيا أو ثقافيا، أي أنّها ترتبط بالبناء الاجتماعي والسياسي للمجتمع أو بقيمه السائدة.<sup>2</sup> وبالتالي فهي تحتاج في نظرهم إلى أن تسير مثل المجتمعات المتقدمة، حتى تحقق التنمية المطلوبة. يمكن النظر إلى هذه النظرية على أنّها وسيلة ممتازة لفهم كيفية نقل التكنولوجيا والمعرفة والثقافة والخبرات ورؤوس الأموال من الدول المتقدمة إلى الدول النامية وتحقيق التنمية في هذه الدول. غير أنّ ما يمكن ملاحظته من هذه النظرية أنّها تغفل الجوانب الاستعمارية للتوسع الرأسمالي الذي أنهك المجتمعات المتخلفة أو السائرة في طريق النمو. نظرا إلى أنّها ترى أنّ عملية الانتشار هي عملية اقتصادية وسياسية محايدة، الشيء الذي يجعلها تحاول أن تخفي الخلفيات السياسية والإيديولوجية التي بنيت عليها، وإخفاء دور الاستعمار في استغلال المجتمعات، وعرقلة مسارها التنموي، وبناء النسق الاجتماعي.

#### 4- النظرية الوظيفية:

تركز النظرية الوظيفية على ثلاث أفكار رئيسية، فهي تشبه المجتمع ككائن حي له وظائف متعددة، وتعتبر أنّ المجتمع عبارة عن نسق اجتماعي يتكوّن من مجموعة من الأجزاء المترابطة، كما تدرس العوامل التي تؤدي إلى الاستقرار والتوازن والتكامل أو الاختلال. فوفقا لهذا الاتجاه، تخدم كلّ من المؤسسات والعلاقات والأدوار والمعايير التي تشكّل مجتمعا ما هدفا، وكلّ منها لا غنى عنه لاستمرار وجود الآخرين والمجتمع ككلّ. في مجال سوسيولوجيا التنمية، فإنّ النظرية الوظيفية هي إحدى النظريات التي تهتمّ بدراسة العلاقة بين العامل الاقتصادي والتنمية في المجتمعات. وترى أنّ الأنظمة الاقتصادية والشخصية والمجتمع يجب أن تكون متماثلة مع بعضها البعض. فهي تعتمد في فكرتها على أنّ الأنشطة الاقتصادية تؤثر على النسق الاجتماعي للمجتمع، وتؤدي إلى تغييرات في القيم والمعتقدات والممارسات الاجتماعية. كما أنّ النظرية الوظيفية تصف علاقات الأفراد وأفعالهم في محيطهم الاجتماعي انطلاقا من المكانة والدور والجماعة

1- نبيل محمد توفيق السمالوطي. (1989)؛ قضايا التنمية والتحديث في علم الاجتماع، لمرجع سابق، ص 146.  
2- السيد الحسيني، (1980)؛ التنمية والتخلف: دراسة تاريخية بنائية، ط1، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر.

المرجعية والثقافة التي توطئهم. ومع ذلك "تبقى النظرية الوظيفية وصفية، لا تفسر أساس أو أصل وظيفة النسق"<sup>1</sup>.

وتعتبر النظرية الوظيفية أيضاً أحد النماذج التي تهدف إلى تحليل العلاقة بين الأنظمة الاقتصادية والأنظمة الاجتماعية في المجتمعات. فهي تشير إلى أن التنمية الاقتصادية يمكن أن تؤدي إلى تحسين مستوى المعيشة في المجتمعات، وبالتالي تؤدي إلى تغييرات اجتماعية إيجابية في المجتمعات المتقدمة. فهي تؤكد على أن التغيير الاقتصادي يؤدي بالضرورة إلى تغييرات في المجتمعات والثقافات، حيث يتطلب من الأفراد والمؤسسات التكيف مع هذه التغييرات، وتحديث الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية لمواكبة التغييرات الجديدة.

وعليه، فإن النظرية الوظيفية تنظر إلى التنمية على أنها نتيجة لمجموعة من الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات، وأنه في حالة عدم قيام الأفراد والمؤسسات بأدوارهم، وعدم مواكبة التغييرات الاجتماعية الجديدة فإنه يؤدي إلى ما يسمى بالاختلال الوظيفي داخل النسق الاجتماعي. وفي هذا الصدد يقول روبرت ميرتون: "إن الوظائف من بين المترتبات الملاحظة، التي تساهم في تكيف أو ضبط نسق ما، وأما الاختلالات الوظيفية، فهي تلك التي تعرقل تلاؤم أو ضبط النسق"<sup>2</sup>.

## 5- النظرية الماركسية المحدثه:

تم اختبار العديد من المشاريع لتنمية دول العالم الثالث منذ الستينيات، استناداً إلى نظرية الانتشار. ولكن الوضع الحقيقي لدول العالم الثالث لم يشهد تغييراً، بل تفاقم سوءاً. وفي هذا الإطار، ظهرت نظرية التبعية أو النظرية الماركسية المحدثه كمقاربة بديلة للتنمية والتخلف في مجال سوسيولوجيا التنمية.

تنظر النظرية الماركسية المحدثه في سوسيولوجيا التنمية إلى أن تخلف المجتمعات هو ثمرة للصراع بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج التي تسود المجتمع الدولي الحديث. وهي نظرية تهتم بتحليل العلاقة بين الاقتصاد والتنمية الاجتماعية والثقافية، حيث تعتقد أن المجتمعات المتخلفة أو النامية تترهن للدول المتقدمة، خاصة في مجال التكنولوجيا والمعرفة والرأس مال، وأن العلاقات بين هذه المجتمعات المتقدمة والمتخلفة تشوبها التبعية والاستغلال الاقتصادي.

1- Robert King Merton. (1965): *Éléments de théorie et de méthode sociologique*, Plon, (Les Règles de la méthode sociologique), P.95.

2- Ibid. P.102.

وقد نشأ هذا الاتجاه في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كتوجه جديد للماركسيّة التقليديّة، ومن أهمّ منظريّ النظريّات الماركسيّة المحدثّة، نجد أندريه جوندري فرانك (Andre Gunder Frank)<sup>1</sup>، وإيريك وولف (Eric Wolf)، وسمير أمين.

يتميّز هذا الاتجاه بأنّه يتناول مفهوم التنمية بشكل شامل ويركز على العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة التي تؤثر على التنمية. حيث تعدّ قضيّة الإمبرياليّة أو الاستعمار الجديد من أهمّ القضايا التي تدور حولها معظم كتابات الماركسيين الجدد المهتمين بقضايا التخلّف لأنّ النظام الرأسماليّ اخترق العالم النامي بشكل كامل وفعال من خلال سلسلة طويلة من التبادلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة عبر المدن الكبرى<sup>2</sup>.

تنظر النظريّة الماركسيّة المحدثّة على أنّه بالرغم من أنّ المجتمعات انتزعت استقلالها من الاستعمار، فإنّ عمليّة النهب لهذه المجتمعات لم تتوقّف، وأنّ الدّول الاستعماريّة ما تزال تمارس ضغوطات بطريقة غير مباشرة على النّخب المحليّة في دول العالم الثّالث، من أجل تعزيز مصالحها الاقتصاديّة والسياسيّة. لقد أوضح بول باران (P. Baran)<sup>3</sup> أنّ النّخب الحاكمة في الغرب تُسهم دائماً في الحفاظ على استمرار الواقع في المجتمعات المتخلّفة، لتظلّ هذه الأخيرة خزّاناً للموارد الطبيعيّة ومصدر الرّبح للشركات الاحتكاريّة.

ومن ثمّ، ترى هذه النظريّة أنّه لا يمكن أن تتحقّق التنمية في المجتمعات المتخلّفة إلاّ من خلال تغيير النظام الاقتصاديّ العالميّ والتخلّص من الهيمنة الاقتصاديّة للدّول الغنيّة. فهي تعتبر أنّ التحرّر الاقتصاديّ للدّول النامية يتطلّب تحريراً للموارد الطبيعيّة والعمل، وتوزيع الثروة بشكل عادل. كما تقترح حلّاً يتمثل في تعزيز التعاون الاقتصاديّ والتجاريّ بين الدّول النامية، وتطوير الصناعات الوطنيّة والمحليّة، إلى جانب تحقيق الاكتفاء الدّاتيّ.

## 6- نظريّة الاختيار العقلانيّ:

نظريّة الاختيار العقلانيّ<sup>4</sup> من أهمّ النظريّات الرئيّسيّة في السّوسيوولوجيا، وتفترض أنّ الأفراد عقلانيّين ويؤسّسون أفعالهم على ما يتمثّلون أنّه أكثر الوسائل فعاليّة لتحقيق أهدافهم. حيث يقومون باختيار السلوك الذي يعتبر أنّه الأنسب لتحقيق أهدافهم المتعلّقة بالفوائد والتكاليف. ومن أهمّ منظريّ نظريّات الاختيار العقلانيّ، نجد جيمس إس كولمان (James S. Coleman)، غاري بيكر (Gary Becker).

1- Andre Gunder Frank. (1969); « Development of Underdevelopment», in A. G. Frank, Latin America - Underdevelopment or Revolution: Essays on the Development of Underdevelopment and the Immediate Enemy, New York: Monthly Review Press, Pp. 3-17.

2- Ibid, P.5.

3- Paul Baran. (1960); The Political Economy of Growth, New York: Prometheus.

4- تعود جذور هذه النظريّة إلى آدم سميث الذي يعدّ من أوائل الاقتصاديّين الذين طوّروا المبادئ الأساسيّة لنظريّة الاختيار العقلانيّ، من خلال عمله "تحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم"، الذي صدر في عام 1776.



يمكن لهذه النظرية تطبيقها في العديد من المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى سبيل المثال، يمكن أن تشرح التغيير الاجتماعي الذي يحدث بسبب الإجراءات الفردية، أو السلوكيات الفردية التي تتعلق بالشراء والاستهلاك، كما يمكن لها أن تشرح سلوكيات التصويت، وتصرفات السياسيين وكيفية التعامل مع القضايا السياسية. وتتميز هذه النظرية بأنها تقوم على نموذج العقلانية الآتية، التي تركز على تحقيق هدف باستخدام أكثر الطرق فعالية من حيث التكلفة دون التفكير في قيمة الهدف نفسه. يؤكد دونكان سنيديال (Duncan Snidal) أن الأهداف لا تقتصر على المصالح الذاتية أو الأنانية أو المادية. وإنما تشمل أيضًا أهدافًا تتعلق بالآخرين، وأهدافًا إثارية، بالإضافة إلى أهداف معيارية أو فكرية<sup>1</sup>.

في مجال التنمية، فإن هذه النظرية تدور حول فكرة أن الأفراد والمؤسسات تتخذ القرارات الاقتصادية والاجتماعية بناءً على توقعاتهم للنتائج المرتقبة، وفي ضوء المعلومات المتاحة لديهم. فهي نظرية تركز على السلوك الاقتصادي للأفراد والمؤسسات، وتعمل على دراسة تأثير السلوك على عملية التنمية في المجتمع. حيث تعتمد على فكرة أساسية وهي أن القرارات الاقتصادية التي يتخذها الأفراد مبنية على المنفعة الشخصية والتكاليف، وأنه من الممكن تحسين الأداء الاقتصادي، وتحقيق التنمية عن طريق تشجيع الأفراد على اتخاذ القرارات الأكثر استدامة وفعالية. إلى جانب أنها من النظريات التي لا تدعي بأنها تصف عملية صنع القرار ذاتها، بل تساعد على توقع النتائج وأنماط الاختيارات. وترتبط بشكل أساسي بفكرة "الإنسان الاقتصادي"، الذي تتحكم فيه مصلحته الذاتية، ويسعى إلى زيادة فائدته الشخصية من خلال موازنة التكاليف والعوائد<sup>2</sup>.

ومع ذلك، فإن لنظرية الاختيار العقلاني بعض الشوائب، ومن بينها أنها تفترض أن الأفراد والمؤسسات دائماً ما يتمتعون بالمعرفة اللازمة من أجل اتخاذ القرارات العقلانية، بينما الأمر ليس صحيحاً، لأن هناك بيئات اجتماعية، ينعقد فيها الوصول إلى المعلومات الكافية والصحيحة. وأيضاً تتمثل إحدى الإشكاليات المحتملة لنظرية الاختيار العقلاني في أنها لا تأخذ بعين الاعتبار السلوكيات التي لا تخدم الذات، مثل الأعمال الخيرية أو مساعدة الآخرين. كما لا تراعي تأثير الأخلاق والقيم على القرارات. إلى جانب أنها لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف والسياقات، مثل الحالة العاطفية والسياق الاجتماعي والعوامل البيئية والطريقة التي تفرض على الفرد مجموعة من الخيارات.

1- Duncan Snidal. (2013); «Rational Choice and International Relations», in Handbook of International Relations, edited by Walter Carlsnaes, Thomas Risse, and Beth A. Simmons. London: SAGE, P.87.

2- Milton Friedman. (1966); Essays in Positive Economics (Phoenix Books)-University of Chicago Press.



## 7- نظرية تأثير الكوبرا:

نشأت نظرية تأثير الكوبرا (cobra effect)<sup>1</sup>، من قصّة وقعت في القرن التاسع عشر، عندما كانت الهند تحت نفوذ الاستعمار البريطاني. فقد أقرت الحكومة البريطانية بعرض مكافأة لمن يقضي على الأفاعي الخطرة مثل الكوبرا، حيث حققت الحوافز الماليّة في البدء الغاية المرجوة، فظهر حينها أنّ مخطّط المكافآت والحوافز كان ناجحاً. لكن مع الزمن، تحوّلت الأمور رأساً على عقب، فبدلاً من انخفاض عدد الأفاعي الكوبرا، ازدادت كثيراً، لأنّ سكّان القرى اتخذوا من تربيتها مصدراً للدخل، فاستفادوا من الحوافز الماليّة، ممّا أوجد مشكلة أشدّ من تلك التي حاولت الحكومة البريطانيّة معالجتها. وقد انتشر استخدام هذه النّظرية في مجالات عدّة، ولا سيّما في المجال الاقتصاديّ، وهي نظرية تبحث في التّدخل الحكوميّ في الاقتصاد وآثاره على النتائج غير المتوقّعة.

وتأثير الكوبرا هو ما يحصل عندما تنتج خطة معيّنة لحلّ مشكلة عواقب غير مقصودة، تزيد من سوء المشكلة بدلاً من حلّها. ويمكن اعتبار تأثيرات الكوبرا حالة خاصّة من قانون العواقب غير المقصودة. وهو ما أشار إليه عالم الاجتماع الأمريكيّ روبرت ميرتون (Robert K. Merton) في مقاله الذي أسماه "العواقب غير المتوقّعة للفعل الاجتماعيّ الهادف"<sup>2</sup>. فقد درس ميرتون كيف تؤدّي محاولات لإحداث تغييرات في نظام اجتماعيّ معقد إلى تأثيرات لا يمكن توقّعها. وهذه النّظرية تنطبق على الكثير من الحالات في حياتنا اليوميّة، فالتّدخل من جانب الحكومات والمؤسّسات قد ينتج عنه تغييرات غير متوقّعة في الفعل الاجتماعيّ. فمثلاً، إذا تمّ توفير المياه مجاناً في الأماكن العامّة، فقد يؤدّي ذلك إلى استهلاك المياه بشكل مفرط وغير مسؤول، بدلاً من التّقليل من استهلاك المياه.

وما يميّز هذه النّظرية هو أنّها تساعد على فهم أثر السّياسات الاقتصاديّة والتّدخلات الاجتماعيّة التي تهدف إلى الحدّ من المشكلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، كما أنّها تساعد في تصميم السّياسات بطريقة فعّالة، والتّخفيف من التّأثيرات الجانبيّة غير المرغوب فيها. فهي نظرية تمكّنا من فهم تفاعل الأفراد والمجتمعات مع السّياسات الاقتصاديّة والتّدخلات الاجتماعيّة.

## 8- نظرية العولمة:

يتوفّر حقل العلوم الاجتماعيّة على العديد من الكتابات حول "العولمة"، نظراً لأهمّيّتها في فهم ما يحدث من تحوّلات في كلّ المستويات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والتكنولوجيّة وغيرها. وهي من المفاهيم العلميّة التي انبثقت من مجال علم الاقتصاد وعلم الاجتماع في أواخر الثّمانينيّات من القرن العشرين. فهي تعرّف "بوصفها عملية يتمّ بمقتضاها تحطيم الحدود القوميّة والدوليّة عن طريق النّشاط الاقتصاديّ،

1- تمّ صياغة هذا المصطلح من طرف الاقتصاديّ الألمانيّ هورست سيبرت (Horst Siebert).

2- Robert K. Merton. (1936); «The Unanticipated Consequences of Purposive Social Action». American Sociological Review, V 1, No(6), PP : 894-904.

والسياسي، والثقافي الذي يجري على مستوى العالم بأسره. ويعزى هذا الوضع إلى ظهور الشركات العابرة للقوميات، والتقسيم الدولي الجديد للعمل، وتطور شبكات الاتصال العالمية<sup>1</sup>.

ويرى العديد من علماء الاجتماع أنّ العولمة تسببت في تحولات كبيرة على مستوى العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأنها قدّمت بعضاً من الفرص التي يمكن أن تساعد في تحقيق التنمية، ولكنها أيضاً أدت في الوقت نفسه إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية بين الدول. وعلى سبيل المثال، يجادل "لوك مارتيل" (Luke Martell)، بأنّ العولمة توقّر العديد من الفرص لمزيد من التفاعل والمشاركة في المجتمعات في جميع أنحاء العالم، من خلال وسائل الإعلام والهجرة، ولكن أيضاً لها جوانب مظلمة مثل الصراع والفقر العالمي، وتغيّر المناخ وانعدام الأمن الاقتصادي<sup>2</sup>. "وقد لاحظ هيلد (Held) أنّ الاندماج في الأسواق التجارية والمالية له عواقب مختلفة للبلدان التي تمرّ بمراحل التنمية"<sup>3</sup>. ذلك أنّ الدول النامية لا تستطيع أن تتعامل مع الضغوطات الخارجية من حيث استجابتها للعولمة، فالضغط الخارجي على الدول النامية يساهم في تفاقم ضعف المؤسسات والجهات الفاعلة فيها. الشيء الذي يمنعها من المنافسة بشكل عادل أمام الدول التي تحتكر السوق العالمية.

تفرض العولمة واقعاً لا بدّ منه في عالمنا المعاصر، فهي تمسّ جميع جوانب حياتنا، بما في ذلك صحّتنا. فقد أكّدت الدراسات أنّ العولمة تلعب دوراً مهمّاً في انتشار الأمراض المعدية، وذلك لأسباب عديدة. فمع الزيادة في حركة الأشخاص والبضائع عبر الحدود، أصبح من السهل على مسببات الأمراض أن تنتشر بسرعة إلى مناطق جديدة. بالإضافة إلى ذلك فإنّ العولمة تؤدي إلى تغيير في النظام البيئي، بسبب الأنشطة الاقتصادية التي تؤثر في نمط الحياة والتحضّر، وفي تغيّر المناخ. ومع ذلك، نجدها تلعب دوراً في حلّ المشكلات البيئية القديمة عن طريق التعاون بين الدول في نقل التكنولوجيات الجديدة التي تتسم بأنّها صديقة للبيئة.

يمكن القول، إنّ هناك العديد من علماء الاجتماع الذين يركّزون على دراسة العولمة، فهناك من يدافع على تعزيز الاستقلالية الاقتصادية، من خلال الاعتماد على الموارد المحلية، في حين يركّز البعض على أهمية الانفتاح على الاقتصاد العالمي والتعاون الدولي من أجل تحقيق التنمية.

1- ميل تشيرتون وأن براون. (2012)؛ علم الاجتماع: النظرية والمنهج، ترجمة هناء الجوهري، ط 1، القاهرة. مصر: المركز القومي للترجمة، ص: 368.

2- Luke Martell. (2016); The Sociology of Globalization. Cambridge, UK; Malden, Polity Press: 2° Edition.

3- شمس العجيلي وبارريك هايدن. (2016)؛ النظريات التّرددية للعولمة، ترجمة هيثم غالب النّاهي، ط1، بيروت- لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ص 182.

## 9- نظريات العواطف:

توجد العديد من النظريات السوسولوجية التي تتمحور حول العواطف وتأثيرها على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وذلك لأنّ العواطف تعتبر جزءاً هاماً من حياة الإنسان، وتؤثر على سلوكه وأفعاله واختياراته. فهي من العوامل الحاسمة في تشكيل السلوك الإنساني، ويمكن أن تكون عاملاً مهماً في تفسير الفقر والتخلف الاجتماعي في بعض المجتمعات. كما يمكن النظر إلى العواطف على أنّها المفتاح لفهم القيم الأخلاقية التي تدفع السلوك الاقتصادي<sup>1</sup>.

تنظر السوسولوجيا إلى العواطف على أنّها ليست حالة فردية وحسب، بل هي أيضاً بناء اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه الفرد. كما أنّها مرتبطة بعالم المال، نظراً لأنّ المعاملات التجارية لها أبعاد عاطفية بالدرجة الأولى، إلى جانب أنّ العواطف تؤثر على العلاقات الاجتماعية والتعاون بين الأفراد والمجموعات. وهي نظريات بديلة للنظريات العقلانية، حيث "تواجه النظريات التي تستبعد البعد العاطفي للحياة الاجتماعية صعوبة في تفسير السلوكيات الفردية أو الجماعية التي لا يبدو أنّ العقلانية تحكمها"<sup>2</sup>.

إنّ نظريات العواطف تركز على فكرة أساسية وهي أنّه عندما تكون العواطف إيجابية بين الأفراد، فإنّ ذلك يؤدي إلى مزيد من التعاون والتضامن في العمل والحياة الاجتماعية بشكل عام. علاوة على ذلك، فإنّها تعتبر أنّ الفرد الذي يعيش في مجتمع فقير ومتخلف، يمكن أن تنشأ لديه بعض العواطف السلبية مثل اليأس والإحباط أو القلق بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يعيشها المجتمع. وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تفاقم الفقر والتخلف الاجتماعي.

وعلى المستوى الاقتصادي، فإنّ هناك العديد من الأدبيات النظرية التي تظهر أهمية العواطف للاقتصاد، لأنّها تساعد الأفراد على أداء أدوار اقتصادية من خلال إدارة المشاعر أو تعزيز الذكاء العاطفي، أو لأنّها تساعد العقلانية من خلال تأثيرها على تكوين التفضيلات. فالعواطف تؤثر على سلوك المستهلكين والمنتجين والمستثمرين في الاقتصاد. حيث "يشجّع التعاطف الأفراد على التفاعل، وتعزيز المقايضة، وفي وقت لاحق يوحدتهم من خلال قيم مشتركة تصبح مترسخة في المجتمع، ممّا يضيف الشرعية على الممارسات الاقتصادية الجديدة"<sup>3</sup>. وعلى سبيل المثال، إذا كان الفرد يشعر بالثقة والتفاؤل أو التضامن، فمن المرجح أن ينفق المزيد من المال على السلع والخدمات ويتحمّل المزيد من المخاطر في الاستثمار. وعلى العكس من ذلك، إذا كان الفرد يشعر بالقلق أو الخوف وعدم التضامن، فمن المرجح أن يتجنّب المخاطر ويحاول العمل على التقليل من التّفات.

1- Emiliano Bevilacqua. (2022); « Emotional foundations of the market: Sympathy and self-interest ». HYPOTHESIS AND THEORY, Sociological Theory, a section of the journal Frontiers in Sociology. Volume 7 - Novembre. <https://doi.org/10.3389/fsoc.2022.1054291>

2- Mabel Berezin. (2005); «Emotions and the Economy». In: The Handbook of Economic Sociology, Second Edition, By Neil J. Smelser, Richard Swedberg, Princeton University Press, P.109.

3- Emiliano Bevilacqua. (2022); Op. Cit, P.4.

تتميز نظريات العواطف بأنها مجال حديث نسبياً في سوسيولوجيا التنمية، إذ أن هناك العديد من علماء الاجتماع الذين ساهموا في هذا المجال مثل آرلي هوتشيلد (Arlie Hochschild)، ورنالدال كولينز (Randall Collins)، وريتشارد سويدبيرغ (Richard Swedberg)، وفيفيانا زيليزر (Viviana Zelizer)، وإيفا إيلوز (Eva Illouz).

## 10- على سبيل الخاتمة:

تلك هي أهمّ النظريات التي تدخل في إطار سوسيولوجيا التنمية، وهي عبارة عن مقاربات نظرية تساعد الباحث على فهم التحوّلات الاجتماعية، والسياسات الاقتصادية والاجتماعية التي تهدف إلى حلّ المشكلات في المجتمعات. وبشكل عامّ، فإنّ سوسيولوجيا التنمية، مهمّة جدّاً في فهم كيفية تطوّر الإنسان والمجتمع عبر التاريخ، إلى جانب أنّها من التخصصات التي تساعد في إبراز العوامل التي تؤثر على تطوّر المجتمعات، لأنّها تبحث في العوامل المساعدة على التنمية، وفي الوقت نفسه تبحث في العوامل المساعدة على تخلف المجتمعات، وذلك من أجل تحديد الخطوات اللازمة لتحقيق التنمية المنشودة.

وبالتالي، فإنّ الالتفات إلى النظريات الحديثة في التنمية يشكّل مجالاً علمياً ذو أهمية بالغة، حيث يساهم في إثراء فهمنا لقضايا التنمية والتخلف، ويمهّد الطريق أمام اقتراح السياسات والبرامج التي تساهم في تحقيق التنمية المستدامة. فلا بدّ لنا من تذكير أنّ سوسيولوجيا التنمية تواجه تحديات عديدة، تتمثّل بشكلٍ خاصّ في:

- ✓ التحدّي العالمي، الذي يتجسّد في ظاهرة العولمة والتغيّرات المتسارعة التي تجتاح العالم، والتي لا يمكن إنكار تأثيرها على قضايا التنمية في الدّول.
- ✓ التحدّي المحلي، الذي يتمثّل في التغيّرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها الدّول، والتي تؤثر بشكل كبير على مسار التنمية في المدن والقرى.

ولمواجهة هذه التحدّيات، يتعيّن على سوسيولوجيا التنمية أن تتطوّر وتتجدّد باستمرار، وأن تكون قادرة على التكيف مع التغيّرات الجديدة التي تطرأ في العالم. ينبغي لها أن تتبنّى روح الابتكار والإبداع، وأن تسعى جاهدة لاستكشاف آفاق جديدة ومفاهيم متطورة تتلاءم مع طبيعة التحوّلات الحاصلة، وذلك لضمان استمرارية تطوورها وفعاليتها في بناء مستقبل مشرق للمجتمعات.



## قائمة المصادر والمراجع:

### المراجع باللّغة العربيّة:

- 1- توني بارنت. (1992)؛ علم الاجتماع والتنمية، ترجمة سهير عبد العزيز محمّد يوسف، ط1، القاهرة، مصر، دار المعارف.
- 2- السيّد الحسيني. (1980)؛ التنمية والتّخلف: دراسة تاريخيّة بنائيّة، ط1، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنّشر.
- 3- شمسي العجيلي وباتريك هايدن. (2016)؛ النظريّات النقديّة للعولمة، ترجمة هيثم غالب النّاهي، ط1، بيروت لبنان: المنظّمة العربيّة للترجمة.
- 4- ميل تشيرتون وأن براون. (2012)؛ علم الاجتماع: النظريّة والمنهج، ترجمة هناء الجوهريّ، ط1، القاهرة، مصر: المركز القوميّ للترجمة.
- 5- نائل عبد الحافظ العوامل. (2010)؛ إدارة التنمية: الأسس النظريّة: الأسس، النظريّات، التّطبيقات العمليّة، ط1، عمان: دار زهران.
- 6- نبيل محمّد توفيق السّمالوطي. (1989)؛ قضايا التنمية والتّحديث في علم الاجتماع: دراسة نقديّة لأزمة علم اجتماع التنمية، ط2، دار المطبوعات الجديدة.

### المراجع باللّغة الأجنبيّة:

- 1- Andre Gunder Frank. (1969); «Development of Underdevelopment», in A. G. Frank, Latin America - Underdevelopment or Revolution: Essays on the Development of Underdevelopment and the Immediate Enemy, New York: Monthly Review Press, Pp. 3-17.
- 2- Dieter Neubert. (2020); « Sociology of development: sociology, development studies or already dead? ». In: Southeast Asian Transformations: Urban and Rural Developments in the 21st Century, By Sandra Kurfürst, Stefanie Wehner (eds.), y transcript Verlag, Bielefeld.
- 3- Duncan Snidal. (2013); «Rational Choice and International Relations», in Handbook of International Relations, edited by Walter Carlsnaes, Thomas Risse, and Beth A. Simmons. London: SAGE, P.87.
- 4- Emiliano Bevilacqua. (2022); « Emotional foundations of the market: Sympathy and self-interest ». Hypothesis And Theory, Sociological Theory, a section of the journal Frontiers in Sociology. Volume 7-Novembe. <https://doi.org/10.3389/fsoc.2022.1054291>
- 5- Luke Martell. (2016): The Sociology of Globalization. Cambridge, UK; Malden, Polity Press: 2<sup>o</sup> Edition.

- 6- Mabel Berezin. (2005); «Emotions and the Economy». In: The Handbook of Economic Sociology, Second Edition, By Neil J. Smelser, Richard Swedberg, Princeton University Press.
- 7- Milton Friedman. (1966); Essays in Positive Economics (Phoenix Books)-University of Chicago Press.
- 8- Paul Baran. (1960); The Political Economy of Growth, New York: Prometheus.
- 9- Robert K. Merton. (1936); «The Unanticipated Consequences of Purposive Social Action ». American Sociological Review, V 1, No(6), Pp. 894-904.
- 10- Robert King Merton. (1965); Éléments de théorie et de méthode sociologique, Plon, (Les Règles de la méthode sociologique).